مركز سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

أعلام السلفية (٩)

نبذة عن

العالم السلفي أبو يعلى الزواوي
شيخ الشباب وشابّ الشيوخ

نبذة عن

العالم السلفي أبو يعلى الزواوي

شيخ الشباب وشابّ الشيوخ[1]

اسمه ونسبه:

هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي أبو يعلى الزواوي.

من قبيلة آيت سيدي محمد الحاج الساكنة في إغيل زكري من ناحية عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى بالقطر الجزائري، وينسب إلى الأشراف الأدارسة.

مولده:

ولد حوالي عام ١٢٧٩هـ، الموافق لعام ١٨٦٢م.

تكوينه العلمي:

درس أوَّلا في قريته، فحفظ القرآن الكريم، وأتقنه رسمًا وتجويدًا وهو ابن اثنتي عشرة سنة، والتحق بزاوية الأيلولي ومنها تخرج.

وأبرز شيوخه الذين استفاد منهم: والده محمد الشريف، والحاج أحمد أجذيذ، والشيخ محمد السعيد بن زكري مفتي الجزائر، والشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي.

نشاطه:

---

(١) هذه الترجمة مختصرة من مقال للدكتور أبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري، بعنوان: (أضواء على حياة الشيخ أبي يعلى الزواوي الجزائري)، نشِر في موقع ملتقى أهل الحديث، وأضفنا عليها بعض الإضافات.

كان أوَّل خروجه من منطقة الزواوة في شرخ الشباب، وتوظَّف في بعض المحاكم الشرعية. ثم ارتحل إلى تونس وكان بها سنة ١٨٩٣م، وكانت له رحلات إلى مصر والشام وفرنسا وذلك قبل سنة ١٩٠١م. وفي سنة ١٩١٢م كان في دمشق يعمل في القنصلية الفرنسية، وقد عمل بها إلى غاية سنة ١٩١٥م، وفي مدة إقامته هناك نَمَّى معارفه بالأخذ عن علماء الشام، وبالعلاقات التي أقام مع الكتاب والأدباء، وعلى رأسهم أمير البيان شكيب أرسلان.

ومع بداية الحرب العالمية الأولى اضطُر للخروج من دمشق لاجئا إلى مصر؛ لأنه كان معروفا بمعاداته للحكومة التركية، ومناصرته لأصحاب القضية العربية كما سميت في ذلك العصر، وفي مصر استزاد من العلم بلقاء أهل العلم وأعلام النهضة فيها، وممن جالس وصحب هناك: محمد الخضر حسين التونسي، والطاهر الجزائري، ومحمد رشيد رضا.

ورجع إلى الجزائر سنة ١٩٢٠م بعد انتهاء الحرب، فقضي مدة في زواوة، ثم سكن الجزائر العاصمة وتولى إمامة جامع سيدي رمضان بالقصبة بصفة رسمية، ومع كونه من الأئمة الذين رضوا بالوظيفة عند الإدارة الفرنسية فقد تبنى الفكر السلفي الإصلاحي بقوَّة وحماس كبيرين، وعاش محاربا لمظاهر الشرك والبدع والخرافات وغيرها من أنواع المنكرات، ولم تقيد الوظيفة التي تقلدها لسانه، ولم تحدَّ من نشاطه، فكان صريحًا في الحق، جريئًا مقدامًا، يدافع عن الدين والفضيلة والعقيدة الصحيحة واللغة العربية والوطن، وقد هددته السلطات مرارًا بالفصل من إمامة جامع سيدي رمضان، ولكنها لم تجرؤ على ذلك، ولا وجدت سبيلا إلى كمِّ لسانه وتجميد نشاطه وإيقاف زحفه.

وعلاوة على الخطابة والتدريس فقد كانت له مشاركات في الصحف، فقد دخل في هذا السلك لما كان مقيمًا في الشام، فكتب في جريدة المقتبس التي كانت تصدر بدمشق، وفي جريدة البرهان التي كانت تصدر بطرابلس الشام، وفي جريدة المؤيد المصرية، وثمرات العقول البيروتية، والمجلة السلفية بمصر.

ولما رجع إلى الجزائر استمر في نشر بحوثه وآرائه في الصحف، فنشر في جريدة النجاح مدة، ثم في مجلة الشهاب لابن باديس، وفي جريدة الإصلاح للطيب العقبي التي قلَّما خلا عدد من أعدادها من شيء من كتاباته، ونشر في كل جرائد الجمعية بعد تأسيسها.

وكان الشيخ أبو يعلى الزواوي ممن لبى نداء رجال الإصلاح في الجزائر لتأسيس جمعية العلماء، وقد تولى الرئاسة المؤقتة يومها حتى انتخب المجلس الإداري ورئيسه العلامة ابن باديس، وبعد مضي مدة عن تأسيس الجمعية ترأس لجنة العمل الدائمة بعد انسحاب رئيسها عمر إسماعيل، وهي لجنة كُوِّنت من الأعضاء المقيمين في العاصمة لإدارة شؤون الجمعية لما كان أغلب أعضاء المجلس الإداري المنتخب مقيمين خارج العاصمة بحكم السكن والنشاط. وترأس أيضا مدة لجنة الفتوى، وقد نشرت له في جريدة البصائر -لسان حال الجمعية- عدة فتاوى ومقالات.

ثناء العلماء عليه:

تواردت كلمات العلماء في الثناء عليه، فقال الشيخ الطيب العقبي في تقريظه لكتاب جماعة المسلمين:

أبو يعلى إمام الحق فينا وشيخ شباب المصلحينا
دعا بدعاية الإسلام قبلا لدين الله رب العالمينا
فأبدع في اختصار القول ردًّا على فئة الضلال المفسدينا
وقد غضبوا لقول الشيخ فيه وضلوا في الضلالة تائهينا
فلم يعبأ بما فعلوا ولكن تمادى يخدم الحق المبينا

وقال في مقال نشر في الشهاب ردًّا على من انتقص الشيخ: "ألا ما أشفقتما عليه أو رحمتما شيخوخته وسلفيته الصادقة، وتركتماه لنا عضدا قويا وشيخا سلفيا... وهو من قد عرفتماه فضلا ومعرفة وسبقا إلى مذهب السلفية، كما عرفتما مقدار مقدرته في الكتاب وبحثه وتنقيبه".

وقال الشيخ مبارك الميلي: "الشيخ الجليل العالم السلفي الأستاذ أبو يعلى الزواوي الذي لقبه الأخ الشيخ الطيب العقبي: شيخ الشباب وشاب الشيوخ، وكل من عرف هذا الشيخ وأنصفه اعترف له بهذا اللقب، وسلم له هذا الوصف".

وقال أحمد توفيق المدني: "وإذا ذكرت الرجال بالأعمال فإني أذكر العلامة الكبير الشيخ سيدي أبا يعلى السعيد الزواوي، أذكره بتأليفه القيم (الإسلام الصحيح) الذي نسف به الخرافات والأوهام في الأفكار العامة".

مؤلفاته:

له مقالات كثيرة منشورة في عدد من الجرائد والمجلات، وله أيضًا عدد من المؤلفات، منها:

١- الإسلام الصحيح، مطبوع بمطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٥هـ، في ١٢٣ صفحة.

٢- جماعة المسلمين، فرغ منه سنة ١٣٦٧هـ، الموافق لـ ١٩٤٨م، ذكر في مقدمته أنه مختصر من كتاب آخر مطول، وطبع بمطبعة الإرادة بتونس في رمضان ١٣٦٨هـ، الموافق لجويلية ١٩٤٨م. وهو في ٧٥ صفحة.

٣- الخطب، طبع في الجزائر عام ١٣٤٣هـ، وهو في ٧٨ صفحة.

٤- خصائص أهل زواوة، وهي رسالة وجهها من الشام إلى الطاهر الجزائري الذي كان بمصر يطلب منه أن يؤلف كتابا في خصائص أهل زواوة، وقد قام بطبعها أبو القاسم سعد الله ضمن كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.

٥- تاريخ الزواوة، فرغ من تأليفه سنة ١٩١٨م وهو في القاهرة، ونشره في دمشق سنة ١٩٢٤م، وقدم له الشيخ الطاهر الجزائري والسعيد اليجري، وقد أعيد طبعه مؤخرا في الجزائر.

٦- فصول في الإصلاح، ذكره في كتابه الخطب وتاريخ الزواوة.

٧- تعدد الزوجات في الإسلام.

٨- مرآة المرأة المسلمة.

٩- ذبائح أهل الكتاب.

١٠- الفرق بين المشارقة والمغاربة في اللغة العامية وغيرها من الفروق.

١١- الخلافة قرشية.

١٢- الكلام في علم الكلام.

١٣- الغنى والفقر.

١٤- مراسلات أبي يعلى خصوصا مع شكيب أرسلان.

١٥- أسلوب الحكيم في التعليم.

١٦- الأمم الغربية (أو العربية).

١٧- رسالة في علم الخط، ألفها عام ١٩٤٧م.

١٨- النصوص التي ردُّها كفر صراح بإجماع المسلمين، ذكره في مقال له في البصائر.

وفاته:

توفّي -رحمه الله- في ٨ رمضان سنة ١٣٧١هـ، الموافق لـ ٤ جوان ١٩٥٢م، عن عمر يناهز التسعين، وشيَّع جنازته خلق كثير وعدد كبير من رجال العلم والفضل، وصلى عليه الشيخ الطيب العقبي، وكتبت جريدة البصائر عنه: (والبصائر تساهم في المصاب بفقد العلامة الزواوي، شيخ المصلحين في هذه الديار الذي طالما رفع صوته على صفحاتها بالنكير على المبتدعين والمبطلين،

فتقدم إلى الفقيد الكبير وذويه وإلى أسرة العلم والإصلاح بتعازيها الخالصة، تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه بجوار من ذبوا عن دينه من أبطال الإسلام الخالدين).

من كلماته الإصلاحية:

قال رحمه الله: "اعلم -أيها السائل- أن خير طريقة في العقيدة التوحيدية طريقة السلف التي هي اتباع ما ثبت عن الله وعن رسوله، من غير كثرة التأويل والدخول في الأخذ والرد من الجدل في المتشابه وإيراد الشبه والرد عليها. وأذكر الآن بهذه المناسبة جملة من أقوال الأئمة العظام من السلف الصالح لتعتبر -أيها السائل- وتعلم أن الخوض في علم الكلام لا يهدي إلى الحق غالبا، خصوصا في قضايا الانتصار لمذهب دون مذهب، وتجد أن مذهب الحق في ذلك هو مذهب القرآن العظيم: (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)، وهو مذهب السلف، فإن القرآن الكريم أبى الخوض في ذلك لعجز المخلوق عن معرفة حقيقة الخالق، وإنما تصدى لتوجيه الأنظار للاعتبار"[٢].

وقال رحمه الله رادًّا على من قال: "إن من مكروهات الجنازة القراءة عند موت الميت كتجمير الدار وبعده وعلى قبره؛ لأنه ليس من عمل السلف، لكن المتأخرون على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابه للميت، ويحصل له الأجر إن شاء الله، وهو مذهب الصالحين من أهل الكشف"، قال أبو يعلى: "فتأمل -أيها الواقف- كيف ضرب عن عمل السلف وداسه برجله ونبذه برأيه لمجرد ذكر الصالحين والكشف، والحال أن الكشف والإلهام والمنام ونحو ذلك مما لا يتقرر بها حكم عند علماء الأصول، وهو الحق؛ لأن ذلك من دائرة لا حدَّ لها ولا نهاية لميدانها"[٣].

---

(٢) الإسلام الصَّحيح (ص: ٤-٥).

(٣) الإسلام الصَّحيح (ص: ٤٣).

وقال: "إن أصحاب التصوف وعلم الكلام خرجوا عن الأدلة الشرعية إلى الأدلة العقلية، فتاهوا وتحيروا... ولا أكون مبالغًا ولا مبعدًا إذا قلت لك: إن التصوف أضل من علم الكلام وأصعب"[٤].

وقال: "لم يكن السلف الصالح يعرفون هذا صوفي وذاك غير صوفي، أو ذا له طريقة وهذا لا طريقة له"[٥].

وقال: "وبالجملة، إن محدثات المتصوفة كثيرة، فلا نرضاها، ولا يرضونها... أين للسادة المتصوفة القول بالقطب والغوث والديوان وتصرف الأولياء والأموات؟! فليأتوا بحديث صحيح عنه، ودليل من الكتاب والسنة والأثر والشريعة في القرون الثلاثة الأولى خير القرون، ومن أين لهم الرقص والتصفيق -المكاء والتصدية-؟!"[٦].

وقال: "أما أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين فلا شريعة لنا ولا دين لا ديوان إلا الكتاب والسنة وما عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وعقيدة السلف الصالح، أي: فلا اعتزال، ولا ماتريديَّ، ولا أشعريَّ، وذلك أن الأشاعرة تفرقوا واختلفوا أي: المتقدمون منهم والمتأخرون، ووقعوا في ارتباك من التأويل والحيرة في مسائل يطول شرحها"[٧].

وقال في أحد مقالاته: "أما عقيدتنا في الأولياء التي اتخذوها ذريعة للطعن فينا بأننا ننكرهم وننكر الكرامة ليهيجوا علينا العامة التي صُدَّت عن الله إلى الأولياء الأموات تطلب منهم ما لا يطلب إلا من

---

(٤) الإسلام الصَّحيح (ص: ٥١).
(٥) الإسلام الصَّحيح (ص: ٥٣).
(٦) الإسلام الصَّحيح (ص: ٥٥).
(٧) الإسلام الصَّحيح (ص: ٩٤).

الله وتتمسح بقبورهم وتوابيتهم... أما كون الميت صالحا أو مات وليا أو غير ولي، أو على حسن الخاتمة أو على غير ذلك -عياذًا بالله- فإننا غيرُ مكلفين بذلك، ولا نحكم لأحد بالجنة ولا بالنار، إلا مَن وَرَدَ فيهم النص، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، أما التوسل بهم والطلب منهم فمما لم يثبت عن السلف الصالح شيء منه، بل لم يشرع أصلا، وقد فتشنا وقلَّبنا وبحثنا في السير وكتب الحديث الصحيح مثل الموطأ والبخاري ومسلم فلم يثبت في خير القرون أنهم قصدوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم طالبين منه شيئا، ودليلنا أيضا على ذلك ما ثبت في صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه لما استسقى بالناس قال لهم: إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، وهذا دعاء أقره الصحابة والسلف"[٨].

وقال رحمه الله: "نعم كنت قبل أربعين سنة خلوتيًّا [أي: حوالي سنة ١٩٠٧م]، فلما رأيت البدع والمخالفة والرقص والطبل واختلاط النساء بالرجال طلقتها ثلاثا بتاتا"

وقال: "وإني أعلنت أني سلفي، وأعلنت أني تبرأت مما يخالف الكتاب والسنة، ورجعت عن كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح"[٩].

---

(٨) ينظر: البصائر، السنة الأولى، العدد: ٥، (ص: ٨).

(٩) ينظر: الصراع بين السنة والبدعة، لأحمد حماني (٢/ ٧١، ٧٩).